

إسهامات الشيخ عبدالقادر المغربي في الصحافة العربية الحديثة

نوشابة أمير

باحثة بمرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بمالبور.

رحمت بأوجي

باحث بمرحلة الدكتوراه، جامعة أردو فيدرالية، كراتشي.

طاهر ياسين

باحث بمرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بمالبور.

Abstract:

Abdul Qadir al-Maghribi bin Mustapha al-Maghribi from Tunisia, the father and the mother of Tripoli, Asma Karima Haj Osman, and a scholar of religion in Latakia. It was located on the Syrian coast where his father was a judge. The press originated with the emergence of man and is not an updated shroud, but is as old as the foot of the world because curiosity is essential in the nature of human beings and is a trait of its qualities. The publication and circulation of news among members of the Athens community was announced in the fourth century BC at the time of the advent of the fourth power. The appearance of Salt IV refers to Greek civilization as well as historically.

In this sense, the press means the art of recording the daily facts with accuracy, regularity and sound taste, while responding to the wishes of the public opinion, directing it and caring for the sharia groups, and circulating its news, describing

its activity and then entertaining it. In this article, I present first the translation of Sheikh Abdul Qadir Al-Mughrabi in a very brief and then introduce the word of the press and its origin in the modern Arabic literature and finally the contributions of Sheikh Abdul Qadir Al-Maghrabi in the modern Arabic press.

Keywords: *Abdul Qadir al-Maghribi, Syrian coast, the press, publication, Athens community, modern Arabic literature.*

ولد الشيخ عبدالقادر المغربي بن مصطفى المغربي من تونسسي الأب وطرابلسية الأم السيدة أسماء كريمة الحاج عثمان علم الدين في اللاذقية. وهي كانت تقع على الساحل السوري حيث ان أبوه قاضيا. في رمضان 24 من سنة 1284. الموافق ديسمبر 1867م.⁽¹⁾

أسرته: كانت أسرة الشيخ عبد القادر المغربي أسرة علمية متدينة عريقة في الدين والعلم والفضل والشرف، وأسرة القضاء والإفتاء والفقهاء، وكان أبوه الشيخ مصطفى بن أحمد بن عبد القادر بن عبدالرحمن بن عبد القادر بن عبدالرحمن بن عبد القادر بن عبدالله بن أحمد بن محمد المغربي التونسي من أسرة مشهورة معروفة بإسم "درغوث" أي باب الغوث في تونس ولكنها اشتهرت في الشام بإسم المغربي وهي محرفة عن "طورغود" إسم جدهم الأصلي وهو طور غود باشا الذي كان أمير البحر التركي توفي سنة 1564م/972هـ. وهو حسني وحسيني حسبنا ونسبا وشعارا.⁽²⁾

نشأته: نشأ وترعرع في طرابلس الشام التي عاد إليها والده معه بعد أن تولى منصب القضاء في اللاذقية فيها وفي بيروت ثم في الآستانة عاصمة الحكومة العثمانية وتربى في أحضان العلم والعلماء والفقهاء والفضل والفضلاء والقضاة، وخزانة الكتب التي حصل أبوه عليها من مصر والآستانة وغيرها. تعليمه: تلقى الشيخ المغربي تعليمه الابتدائي في بيته من أبيه وفضلاء أسرته،

وأكابر علماء البلدة. فكان والده يعني عناية بتعليم ابنه فهو يجمع له منتخبات منظومة من قواعد العلوم المختلفة ويحضه على حفظها. ولما ختم القرآن وهو في السنة العاشرة من عمره وحفظ طائفة كبيرة من المتون في شتى العلوم الشرعية والعربية العلمية المشهورة كالألفية والأجرومية والسنوسية وجوهرة التوحيد فالتحق بالمدرسة الوطنية في طرابلس وكانت هذه المدرسة أول مدرسة عصرية أسسها الشيخ حسين الجسر العالم الكبير والمصلح الرباني وأحسن برعيتها وترتيبها وفقا لمقتضى العصر الحديث. وقد دخلها معه السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار الذي كان صديقا حميما وزميلا في الدراسة الشيخ المغربي وقد ذكر رشيد رضا أيام طفولتهما في مقدمته للكتاب زميله "البنات" فهو يقول: "سبقني المغربي إلى طلب العلم وسبقته إلى مطالعة بعض كتب الأدب والتصوف والتاريخ قبل طلب العلم، ولما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام كان هو في الصف الأول من تلاميذها، وكان الشعر والأدب أول أسباب التعارف والتآلف بيننا، وكان موضع عجب مني في اجتهاده إذا شرع في حفظ درس يضع رؤوس إجمالية في أذنه وبقية أصابعه فوق عينيه حتى لا يسمع صوتا ولا يرى شيئا ثم يقرأ ما يريد حفظه قراءة بصوت بين الجهر والمخافتة⁽³⁾ وكانت هذه المدرسة لها أثر كبير ودور هام في الإصلاح والأدب واللغة وسبيل الحرية وانطلاق الفكر العربي.⁽⁴⁾ ولما أقفلتها الحكومة العثمانية فهاجر الأستاذ حسين الجسر إلى بيروت ولحق بالمدرسة السلطانية فتبعه المغربي مع زملائه وحينما رجع الأستاذ إلى طرابلس فتبعه التلميذ أيضا- وفيهذه المدرسة كان عالما بارعا له يد طولى في الإصلاح والعلم وهو الشيخ أحمد عباس الأزهرى ناظر المدرسة الذى استفاد منه الشيخ المغربي استفادا كثيرا وتعرف فيها بجريدة "العروة الوثقى" وصاحبها السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام محمد عبده، ومن هنا نشأ في قلبه جبهما وإرادة اللقاء بهما وبعده دخل في المدرسة الرجبية طالبا.⁽⁵⁾ الآن نقدم أمامكم الكلام عن الصحافة ونشأتها في الأدب العربي الحديث.

الصحافة: الصحافة لغة مشتقة من الصحف، جمع صحيفة، والصحيفة كما شرحها ابن منظور في "لسان العرب" هي التي يكتب فيها. وفي القرآن الحكيم وردت هذه الآية (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى).⁽⁶⁾ والصحف هنا بمعنى الكتب المنزلة من الله. وفي الصحاح للجوهري أن الصحافة وجمعها صحف وصحائف هي الكتاب بمعنى الرسالة. وفي الحديث الشريف: (أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس)⁽⁷⁾. ومنها اشتق المصحف (بضم الميم أو كسرهما) بمعنى الكتاب الذي جمعت فيه الصحف أي الأوراق والرسائل. ولما عرف العرب الصحافة في مطلع القرن التاسع عشر لأول مرة، كانوا يطلقون عليها لفظة "الوقائع" ولكن أول من اختار لفظة "صحيفة" هو الكونت رشيد الدحداح (1813-1894).

الصحافة في الإصطلاح: الصحافة تعني بهذا المعنى والمفهوم فن تسجيل الوقائع اليومية بدقة وانتظام وذوق سليم، مع الإستجابة لرغبات الرأي العام وتوجيهه والإهتمام بالجماعات الشرية، وتناقل أخبارها، ووصف نشاطها، ثم تسليتها. وعلى ذلك الصحافة مرآة تنعكس عليها صورة الجماعة وآراءها وأفكارها وخاطراتها.

وقد عرّف الدكتور محمود عزمي من أعلام الصحافة في مصر "الصحافة: إنها وظيفة اجتماعية مهمتها توجيه الرأي العام عن طريق نشر المعلومات والأفكار الخيرة الناضجة، مفعمة ومنسابة إلى مشاعر القراء في خلال صحف دورية"⁽⁸⁾. ومن أهداف الصحافة الإعلام والشرح والتعقيب والإرشاد وتلبية رغبات الجمهور وحاجاته والتسليه. والصحافة بمعناها المتعارف اليوم لم تصل إلينا إلا على يد الشيخ نجيب الحداد (1867-1899م) منشئ صحيفة "لسان العرب" وهو أول من استخدم كلمة الصحافة بمعنى صناعة الصحف والكتابة فيها. ومنها أخذت كلمة صحفي.

إن الصحافة في المجتمع المعاصر تعد وسيلة أو أداة لنقل المعلومات، ومن

خلال ما تنشره فإنها تخاطب العقل والعاطفة معا.

وللصحافة ثلاثة أنواع، صحافة الخبر وصحافة الرأي وصحافة الحزبية. صحافة الخبر هي صحافة تعني بنشر الخبر بدون تعليق أو رأي وظهور هذه الصحافة كان بمدينة البندقية الإيطالية، إذ كانت تتضمن أخبارا مالية وتجارية، وبعدها انتشرت في بريطانيا وفرنسا وظهرت أول صحيفة إخبارية في إنجلترا عام 1943م. اشتملت على أهم الأخبار المحلية والعالمية مقترنة بتعليق بسيط عليها. نشأة الصحافة عبر التاريخ العالمي.

نشأت الصحافة مع نشأة الإنسان وهي ليست كفن محدث بل هي قديمة كقدم الدنيا لأن حب الاستطلاع شئ أساسي في طبيعة البشر وهي خصلة من خصاله. فقد أعلن نشر الأخبار وتداولها بين أفراد مجتمع أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد وقت ظهور السلطة الرابعة. وظهور السلط الرابعة تشير إلى الحضارة اليونانية فضلا تاريخيا.⁽⁹⁾

نشأة الصحافة العربية: في المرحلة التي مضت قبل ظهور صناعة الطباعة الحديثة كانت المعلقات والكتب المخطوطة باليد أولى وسائل الإعلام العربية بالعموم⁽¹⁰⁾. وفي المرحلة التي شهدت صناعة الطباعة الحديثة، اتصلت جذور الصحافة العربية باستيراد أولى المطابع إلى لبنان في القرن السابع عشر وكان ذلك في عام 1610م وأحدثت مطبعة للكتب الدينية في شمال لبنان. وإن الصحف العربية انطلقت من مصر إلى بلاد أخرى وانتشرت سنة 1799م عندما حمل نابليون بونابرت (1769-1821م) على مصر واحتل عليها سنة 1798م وأنشأ لتبليغ أوامره للمصريين أكثر من نشر أخبار مصر، جريدة "التنبيه" عام 1800م وهي أول صحيفة عربية أصدرت في العالم، وبعدها صدرت جريدة "الوقائع المصرية" سنة 1828م على يد محمد علي باشا وكانت الجريدة لسان حال الدولة. وكانت تصدر باللغتين التركية والعربية ثم بالعربية فقط.⁽¹¹⁾

وفي سنة 1848م أنشأت الحكومة الفرنسية جريدة "المبشر" في الجزائر.

وأول صحيفة أسبوعية غير رسمية "مرآة الأحوال" أصدرت على يد أول عربي رزق الله حسون سنة 1855م في اسطنبول لنشر أخبار سوريا ولبنان. ومن جملة ما ظهر من الصحف جدير بالذكر منه مجلة "يعسوب الطب" التي صدرت بالقاهرة عام 1865م وصحيفة الأهرام في عام 1876م. وهناك مجلة ظهرت في لبنان بإسم "مجموع فوائد" سنة 1851م منشؤها مراسلون أميريكون، وكانت هذه المجلة تتضمن المضامين الدينية والعلمية والتاريخية والجغرافية وغيرها. وبعدها في سنة 1870م صدرت جريدة دينية أدبية نصف شهرية إسمها "المضمار" و"نفير سوريا" ظهرت في سوريا عام 1860م وبعدها صحيفة "سوريا" سنة 1865م. وهكذا ظهرت في سنة 1868م صحيفة "الزوراء" في العراق وظهرت صحيفة "الرائد التونسي" سنة 1861م وصحيفة "نتائج الأخبار" سنة 1863م في تونس. وفي طرابلس أنشأت الحكومة العثمانية صحيفة "طرابلس المغرب" سنة 1871م، وفي صنعاء أصدرت صحيفة بإسم "صنعاء" سنة 1877م على توجيه السلطان عبد الحميد الثاني. (12)

وفي سنة 1877م صدرت جريدة "الوطن" لميخائيل أفندي عبد السيد في مصر، وفي سنة 1878م صدرت جريدة "الأهرام" مرة ثانية. وصحيفة "التبكيك والتنكيك" صدرت سنة 1881م وأعيد صدور صحيفة "الأهرام" عام 1883م ثم أنشأ أصحاب جريدة "المقتطف" صحيفة "المقطم" سنة 1888م وبعدها ظهرت المؤيد للسيد على يوسف سنة 1889م وصحيفة "الأستاذ" لعبد الله النديم سنة 1892م وصحيفة "المنار" للسيد رشيد رضا سنة 1898م، وصحيفة "اللواء" لمصطفى كامل سنة 1900م وصحيفة "العلم" سنة 1910م وصحيفة "البرهان" للشيخ عبدالقادر المغربي في سنة 1911م صدرت صحيفة "الشعب" سنة 1913م وجريدة "الشرق" سنة 1916م. (13)

رواد الصحافة العربية الحديثة: إذا بحثنا عن رواد الصحافة العربية الأولين فوجدنا فيهم أمثال إسماعيل الخشاب، الشيخ عبدالرحمن الجبرتي، والشيخ حسن

العطار، ورفاعة رافة الطهطاوي، وأحمد فارس الشدياق، والكونت رشيد الدحداح، وبطرس البستاني، ورزق الله حسون، وخلييل الخوري، وعبد الله النديم، والشيخ إبراهيم اليازجي، وأديب إسحاق وغيرهم.

تأثير السيد جمال الدين الأفغاني في الصحافة العربية: ظهر فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني في مصر، في شهر مارس من سنة 1871م وقضى فيها ثمان سنين من حياته. وكانت تلك الفترة من خير السنين بركة على مصر وعلى العالم الشرقي وفي هذه الفترة التي قضاها السيد الأفغاني فيها بذر بذور الحرية والدين والجهاد في سبيلهما في قلوب المصريين. كان يلقي دروساً على طلبة الجامعة الأزهر وشيوخه وينفخ في أجسامهم أرواحاً حيوية وهي الأرواح الدينية فتأثر بذلك الصحافة وتنوعت مضمونها.

إن الصحافة المصرية لم تخل من إعانة الأدباء السوريين على ظهورها وتطورها. وإن تسعى لتناسهم فلا يسهل هذا الأمر لها، لأن لهم إسهامات كبرى فيها ومنهم جدير بالذكر الشيخ عبدالقادر المغربي أيضاً الذي أعان الصحافة المصرية وعبر المصرية بمقالاته القيمة.⁽¹⁴⁾

إذا تأملنا في حياة المغربي الصحفية فوجدنا أنه يبدأها منذ وصوله إلى مصر على إستدعاه الأستاذ الإمام محمد عبده إليها بعد أن يتخلص الأول من الإعتقال. ولم يكد وصل إليها سنة 1905م، حتى إنخرط بالصحافة العربية وجعل يكتب فيها، وكان الشيخ المغربي يعشق الصحافة واتخذها سلوة، وممتعة، وحرفة فانصقل أسلوبه وأشرق ديباجته، وذاع صيته في مصر وغيرها في أنحاء العالم العربي والإسلامي. فهو يستمر في كتابة المقالات ونشرها في جرائد مختلفة عالية المستوى حتى أنشئ المجمع العلمي العربي بدمشق، والمقالات والمحاضرات له في المجمع فيها نضج، رسوخ، ودوام، صلابة ومتانة مع دقة وإتقان في جميع ما يكتبه من مقالات ومحاضرات للمجامع العلمية اللغوية العربية وللمجلات الصادرة الحافلة العلوم المتنوعة في اللغة والأدب.

البواعث التي دفعته إلى الصحافة: ومن المستحسن أن أدل على مؤجّز ذكر ما من البواعث التي دفعته الشسخ المغربي الصحافة وكان منكبا على دراسة الكتب وتأليفها ولازم بيته قبل إتصاله بها. فبعد أنه مكث في الأستانة دار الخلافة ببحوار شيخه ومريه السيد جمال الدين الأفغاني سنة كاملة سنة 1892م وكان في الخامسة والعشرين من عمره فتأثر به وغشيت أفكار الأستاذ وروحه نفس التلميذ وذهنه وعقله. فرجع حاملا روح الأستاذ، آراءه ومهمته الإصلاحية لخير المجتمع الإسلامي والعالم الإسلامي، إلى وطنه طرابلس الشام 1893م. وذلك يظهر كله في كتابات الشيخ المغربي وحيث قال السيد رشيد رضا المصري في مقدمته لكتاب "البيئات" تأليف المغربي، فهو يقول: "وأكبر ما أثر في أنفسنا وعقولنا وظهر أثره في إنشائنا لفظا ومعنى جريدة "العروة الوثقى" لحكيمي الشرق ومجددي نهضته العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية والإسلامية. وجدت أعدادا منها فوجدتني دخلت في حياة جديدة. واطلعت صديقي المغربي على تلك الأعداد كدأبنا في إطلاع كل منا الآخر على ما يستحسنه ويراه مفيدا. ثم طفقت أبحث عن بقية الأعداد وأستنسخ ما أجده منها وينسخ هو أيضا. وقد قال لنا مرة أستاذنا الشيخ حسين الجسر: إن بينكما جوامع كثيرة أخصها حب السيد جمال الدين الأفغاني واتباع أفكاره، وكذا قال المغربي⁽¹⁵⁾ عن نفسه وصديقه ولكنني أثرت على قوله قول صديقه لأن إمرأ لا يقبل شهادته لنفسه. والشيخ المغربي جعل يريد أن يكون صورة عن شيخه جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ويسير على آثارهما في الدعوة والإصلاح والكتابة.

أسلوبه كصحفي: أخذ المغربي ينشر آراءه عبر الكتابة المقالات والقاء المحاضرات ويقوم بالتنبيه والتحذير وإصلاح المسلمين، يجارب الجور وبالخصوص أعلن هجومه على السلطان عبد الحميد الذي فرض الضرائب على الشعب أضعافا مضاعفة حتى على من لا أهل لها تعديا حدود العدوان والظلم. فقرض المغربي

أبياتا يستعرض فيها ظلم السلطان وجوره، فهنا أنقل منها أمودجة يظهر فيها أسلوبه وفكرته وجرأة البيان له فقال المغربي:

بلغ أمير المؤمنين نصيحة تبغي القبول ولا تريد ثوبا
قبر تعمره ببدرة و عسجد وتعيد عمران البلاد خرابا
تجبي الضرائب من فقير مملق تغني بها المتملق الخلابا
تقصي إلى الأطراف كل محنك وتبيت تدني الذوك والأوشابا⁽¹⁶⁾

كان هذه الصيحة صاح بها كالمصلحين قبله، لأن السلطان عبد الحميد قد كان بنى في حلب مقبرة لوالد أبي الهدى الصيادي . شيخ الإسلام في الأستانة آنذاك . وأنفق عليها كثيرا من الذهب والمال وكان حال المملكة بأنها تعاني بأزمات مالية إقتصادية قاسية.

وقد كان من أثر هذا اعتقاله في بيروت عام 1904م لعدة أشهر، ثم أفرج عنه بعد عدة أشهر ولكنه ضاق عيشه فيها حتى استدعاه الشيخ محمد عبده إلى مصر حيث كان ميدان العلم واسعاً. فوصل إليها في يوم 17 من شهر ربيع الثاني سنة 1322هـ الموافق يونيو 1905م. ولكن بعد وصوله إليها توفي الشيخ محمد عبده وحرّم المغربي من إرشاده ومصاحبته وعونه.⁽¹⁷⁾

اشتغل المغربي بالصحافة وأخذ يحرر وأول مقالة كتبها في مصر بعد وصوله إليها، ولأننا إذا نتتبع عن مقالاته الصحفية والعلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك في عام 1905م، فنجد مقالة نشرت بعنوان "التمثيل العربي" في جريدة "المقطم"⁽¹⁸⁾ سنة 1905م. وقد كتب في حاشية المقالة "كتبها بعد وصولي إلى القاهرة بسبعة أشهر في سنة 1905م/ 1323هـ". فإن المقالة فيها نجد له أسلوباً مشرقاً عذبا وأفكاراً جديدة نيرة وإرشادات وتوجيهات دقيقة تنم عن علو أفكار الكاتب وسعة علمه وثقافته وحسن نزعاته وطول باعه في الأمور الصحافية مع أنه لم يتعلم في جامعة دينية أو عصرية دون المعهد تخرج فيه. فشرع المقال يصف التمثيل وفوائد قائلاً بأن وسائل تربية الأمم أو الأقوام وتهذيبها من

الصحافة والخطابة والتمثيل ليس إلا تقليد محاكاة، التقليد والمحاكاة غريزة من غرائز الإنسان فلذا نرى أن الطفل الذي ليس به شعور ولا عقل يقلد ويحاكي من يراه حوله حركاته وسكناته في أقواله وأفعاله وهذا يدل على أن النفس الإنسانية تتعلق بالتمثيل أكثر من سواه. وبعد تصويره عن اهتمام الأمم الأوربية واهتمام أمتنا الإسلامية عنه وصف الكاتب الممثلين في المسرح وصفا دقيقا بارعا وأرشدتهم إلى وظيفتهم مع إشادة جهودهم المبذولة بهم وخاصة السيد سلامة حجازي الذي كان مشهورا جدا في هذا الفن.

ثم بين المغربي القسمين لما يبني عليه التمثيل وهي الروايات المترجمة والروايات الموضوعية، وفسر الفرق بينهما ناقدا في الروايات الموضوعية أو المؤلفات، وقلل أن يحتتم المقالة وجه النظارة والمشاهدين إلى آداب استماع التمثيل لأن معظم المتفرجين في الغالب يضحون ضحا شديدا ويرفعون الأصوات ويرقصون قائمين أو قاعدين في مجلسهم دون أن يتعرفوا بالأسرار والحكم والفضائل. وقد يعوق الضوضاء واللغظ بين الممثلين وأعمالهم لأنهم في كمثل هذه الأحوال لا يدرون أيمضون في أدوارهم أو يتوقفون.

فهذه الملاحظات والتوجيهات للشيخ المغربي في وصف المسرحية أو التمثيل قبل مائة قرن عندما التمثيل يجبو فهو أمر هام ولو في العصر الراهن أمر بسيط أما أسلوبه فيها فهو مزوج بالقديم والجديد.⁽¹⁹⁾

الموضوعات المعالجة في مقالاته الصحفية: وفي بدايتها سنة 1906م إتصل المغربي بجريدة "الظاهر" التي يصدرها المحامي محمد بك أبو شادي، وقد حرر فيها كثير من الأدباء مثل محمد كرد على. وظل الشيخ المغربي يحرر فيها مقالات وبحوثا إجتماعية وإصلاحية وأدبية ولغوية يعالج فيها القضايا الأدبية واللغوية والإجتماعية والعالمية الإسلامية. وقد كان يكتب مقالات طويلة كمقالته التي عنوانها "العالم الإسلامي في الشهور الأخيرة" حلل فيها ظروف المسلمين السياسية وما يجب عليهم من العمل، إن عملوا به فيلحقوا بالقافلة السياسية

العالمية ويحصلوا على النجاة من أغلال الاستعمارية وريقة العبودية. وجميع مقالاته المنشورة في جريدة "الظاهر" بعضها يدور بحثها في موضوع سيئ العادات ووجوب الانتباه إليها والخلاص منها، واستهتار العامة بمصر وما يجب على العلماء نحوهم، وحياة الأمة في ثروتها، والأمة كالفرد في أطواره و بلوغ استقلاله، والفضائل والفرائض، وما إلى ذلك من المباحث الاجتماعية، وبعضها تبحث في موضوع تربوي ولغوي رائع على سبيل المثال "إحياء اللغة العربية الصحيحة في نفوس العامة، وناظر المعارف الجديد سعد زغلول وينتظره منه القطر. وهذه المقالة كتبها عقب تعيين سعد زغلول ناظرا للمعارف وفيها قدم كثيرا من المسائل التربوية الإصلاحية.

وبعض مقالاته فيها تبحث في نقد الكتب وتقريرها كبحثه عن "ابن حزم وكتابه في الإخلاق" وكتاب "التعليم والإرشاد" للعلامة بدر الدين النعساني، وكتاب "أساس الشرائع الإنكليزي" للمترجم الأديب نقولا حداد وغيرها من المؤلفات النافعة القيمة.

وفي آخر سنة 1906م دعاه الشيخ على يوسف إلى المشاركة في تحرير جريدة "المؤيد" خلفا للمرحوم السيد عبد الحميد الزهراوي فاتسع له المجال ليشر أفكاره في بحث الإصلاح الديني والاجتماعي واللغوي وينتقد جامعة الأزهر وتعاليمها ومنهجها وغيرها من المؤسسات الدينية ليس فيها التجدد. وظل يحرر فيها مقالات منها ما عنوانه "جمال الدين أهو أفغاني أم إيراني؟" نشر هذا المقال فيها سنة 1327هـ/الموافق 1909م، وهو أصرح من جميع ما كتب في هذا الموضوع بحيث أنه أتى فيها في نسبه ومذهبه بأقوى الدلائل وأصرحها وامتنها وأقواها يظهر منها ويتثبت أن السيد جمال الدين كان أفغانيا سنيا ولا العكس⁽²⁰⁾.

كذلك مقالة عنوانها "حجاب المرأة في الإسلام" التي نشرت فيها وحتى نشرتها بعض الصحف البيروتية والصحف السورية ناقلات عنها وهي التي أنشأت دويا شديدا في الطبقة العلمية واشتهر هجما عنيفا من أجلها. ولا ريب في أن

الشيخ المغربي شغل الناس بمقالاته التي نشرها في الجريدتين "الظاهر" و"المؤيد" خلال سنتي 1906 و 1908م. ولما وجه إليه علماء اللغة نقدا عنيفا لمقالاته بما في استعمال المفردات المعربة والدخيلة والمولدة فرد عليهم بطبعها في شكل مدون بعنوان "الإشتقاق والتعريب" المطبوع في عام 1908 ثم 1947م⁽²¹⁾. وهو أهم مؤلفاته في بحث التجديد اللغوي.

أسباب احترافه بالصحافة: المغربي كان يعتقد بأن الصحافة هي وسيلة وحيدة فذة للإصلاح فأخذها واحترفها وقد بين لنا سرا الذي دفعه إلى الاحتراف بهذه الصناعة فقال: لما جاء دور العمل وأردت ممارسة الأشغال الدنيوية كان سعي بالطبع موجها نحو العمل الذي يلائم الوسط الذي يعيش فيه فيممت دار السعادة بقصد الدخول في مكتب النواب ثم حال بيني وبين المضي في الأمر اضطرني للرجوع إلى وطني فأبت إليه ولزمت أستاذاي الأول⁽²²⁾ وأخذت في دراسة العلوم... ثم عينت مؤظفا في المحكمة الشرعية. هذا هو الظاهر من حياتي ولكن هناك باطن يجول فيه سر خفي وتكمن تحت رماده شرارة لاتنطفي وليست هذه الشرارة سوى حركة النفس في تدبير أحوالنا الاجتماعية والاهتمام بشئوننا السياسية وتزديد الشكوى من موقفنا المنحط عن مواقف بقية الأمم...⁽²³⁾.

أما مقالاته السياسية الخارجية في شئون العالم الإسلامي فمنها مقال بعنوان "مراكش ما لها وما عليها" بين فيه الأوضاع الداخلية السيئة التي عانت بها مراكش قبل أن يحتل الفرنسية وتحكم عليها. وليس هذا فحسب بل حض ألباء مراكش وعقلاءها على أن يجلوا الخصومات الداخلية فيما بينهم. ومما لاريب فيه أن المغربي كان له يد طولى في مناضلة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا الشمالية ومعاركتها وما قال جلالة السلطان السيد محمد الخامس ابن يوسف في كلمته القيمة عن الشيخ المغربي في حفلة تأييبه، وهو يدل على أعظم مرتبته فيقول السلطان:-

"وما نسينا ولن ننسى موقف الشيخ عبد القادر من القضية المغربية في

عهد الأزمات الأخيرة إذ كان في الصف الأول من المناضلين عن حق المغرب الأقصى في الحرية والكرامة " (24)

وكان الشيخ المغربي أشد في محاربة الاستعمار الإنكليزي أيضا فكتب فيه مقالة بعنوان "إسبارطة وأميركا" وقد بحث فيها بحثا جما عن حالة إسبارطة وعن سياسة أميركا الظالمة القاسية وقسوتها المنتاجة عن قوتها. وكذا نجد له مقاله عن بلاد جاوة وما إليها، دعا فيها مواطني تلك البلاد إلى ان يقوموا على الاستبداد والظلم والطغيان ضد المستعمرين والذين تسلطوا عليهم وأمواهم وثرواتهم.

ومن أروع مقالاته في تربية الجيل الناشي مقالة معنونة "تربية أطفال المسلمين الدينية" فيها مباحث تربوية مفيدة وكيف يجب أن تكون؟ وما هي الكتب التي يجب أن يدرسوها ويهدبوا بها أنفسهم. ومن مقالاته التي كتبها في التربية فهي "درس في الدين لابن ثمان سنين" وفيها يظهر الشيخ المغربي مريبا ومنصفا يغار على الشبيبة الإسلامية، وفيها اختار الطرق التهذيبية الجديدة التي بلغت بها شبيبة الشعوب المتمدنة من أوروبا وأميركا إلى المستوى الرفيع، وبذل فيهما مجهودات في تحريض الأجيال الناشئة الإسلامية على أن يعملوا بما بينه من الطرق تنتهي بهم إلى مكان رفيع من التهذيب والثقافة والحضارة والتمدن الإسلامي.

أما مقالاته النقدية والتقريضية للكتب فمنها ابن حزم وكتابه في الأخلاق، والتعليم والإرشاد، وأساس الشرائع الإنكليزية وغيرها. ومن المقالات كتبها في نقد جامعة الأزهر وإصلاحها فهي "حمامة الأزهر" و"فتاة إنكليزية تصف الأزهر" و"فتاة إنكليزية تصف المحمل" وغيرها.

ولما رزحت سوريا تحت الاحتلال الفرنسي فاعتزل الشيخ عن السياسة والصحافة وتركها تماما في سنة 1918م ولزم داره واشتغل بدراسات الكتب الإسلامية وعكف على التأليف ومن تأليفه التي أتمها في تلك الحقبة تفسيره للجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم بعنوان "تفسير جزء تبارك" وقد حذا

فيه حذو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير لجزء "عم". ثم إذا حول ديوان المعارف- الذي أنشئ في عهد فيصل الأول - في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حالياً) في أواخر سنة 1918م، فدخله عضواً عاملاً ومن حيث يتجه تيار مجرى حياته إلى غير ما قبله. فينصرف الشيخ انصرافاً إلى مشاغل اللغة والأدب والكتب ويستريح إلى جو العلم والبحث والتحقيق والدراسة والتأليف ويعيش بعيداً عن قلق السياسة والصحافة وينتقل بأسرته إلى دمشق ويستقرها مسكناً نهائياً فيكتب المقالات والبحوث وينشرها ويحاضرها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق وغيره من المجمع مثل المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بمصر حتى أن توفاه الله. (25)

إنما هو الشيخ عبدالقادر المغربي الصحفي تتدفق كتاباته حيوية وتلعب رشاقة العلم وسعة الخيال وجدة الفكر وانتقاء العبارات القوية المربوطة بما كان يقع في عصره وأيامه. فسليقته الكتابية تلعب دوراً بارزاً بأجلى وأحلى صورته وكتابته نمط فني خاص يميزه عما سواه من الكتاب، وفيها شيء حي نادر لا يوجد في كتابات غير هذا الكاتب الصحفي، إذ يوجد في كتاباته جرأة وانبراء يتجاوب مع رغبات نفسه وخلجات قلبه كما وصفه الكاتب الأميركي الشهير الدكتور تشارلس آدمس في كتابه: "تفيض كتابات الشيخ عبدالقادر المغربي بنفحة من الروح النقدية الحرة التي اشتملت عليها كتابات جمال الدين ومحمد عبده وتدل على ما بين تعاليم المغربي وتعاليم المدرسة الشيخ عبده من تشابه" (26).

الهوامش والمصادر

1. محمد يوسف كوكن، أعلام النشر والشعر في العصر الحديث، ج2/ص:338، دار حافظة للطباعة والنشر، حارة ميلا بورن مدارس.
2. أحمد تيمور باشا (العلامة)، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ميدان عبدالسلام، باب اللوق، القاهرة، 1967م، ص:236-244.
3. المغربي، عبدالقادر (الشيخ)، كتاب البيئات، المقدمة، المكتبة السلفية، القاهرة.
4. عبد المتعال لصعيدي، المجددون في الإسلام، المطبعة النموذجية، سكة السابوري بالحلمية الجديدة، القاهرة بدون التاريخ، ص:539-544.
5. المغربي، عبدالقادر (الشيخ)، جمال الدين الأفغاني - ذكريات وأحاديث، دار المعارف، مصر، 1948، ص:25.
6. القرآن، سورة الأعلى، الآيات: 18-19.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لإبن عساكر، دارالفكر، بيروت، بدون تاريخ، الجزء السادس، ص:38.
8. سلامة موسى، الصحافة حرفة ورسالة، سلامة موسى للنشر والتوزيع، تراث من الكفاح الهادف، القاهرة، 1963، ص:11.
9. أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961، ص:54.
10. عبداللطيف حمزة (الدكتور)، الصحافة والأدب في مصر، معهد الدراسات العربية العالية (طبعة البرلمان) القاهرة، 1954.1955م، ص:65.
11. نفس المصدر، ص:22.
12. أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - 1961، ص:148.
13. نفس المصدر، ص:212.
14. الزركلي، خيرالدين، الأعلام، مكتبة العلم للملايين، 1990، ج4، ص:47.
15. الأفغاني، جمال الدين، ذكريات وأحاديث، دارالمعارف للطباعة والنشر، مصر-1948، ص:14.13.
16. سامي الدهان (الدكتور)، قدماء ومعاصرون، دار المعارف، القاهرة-1961، ص:286.
17. أنور الجندي، الأعلام الألف، مكتبة الأنجلو المصرية 165، شارع محمد بك فريد، القاهرة-1957، ج2، ص:135.

18. جريدة المقطم، 27 ذي القعدة، 1905م، بيروت.
19. نفس المصدر، 27 ذي القعدة، 1905م.
20. المغربي، كتاب البيئات، المكتبة السلفية، القاهرة، ج/ 1، ص: 150.
21. سامي الدهان (الدكتور)، قدماء ومعاصرون، دار المعارف، القاهرة، 1961، ص: 277.
22. هو الشيخ حسين الجسر ومؤسس المدوسة الوطنية في طرابلس.
23. محمد أسعد طلس (الدكتور)، محاضرات عن الشيخ عبدالقادر المغربي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1958، ص: 4038.
24. عدنان الخطيب (الدكتور)، المجمعيون، دمشق، ص: 224204.
25. محاضرات عن الشيخ المغربي، ص: 29.
26. تشارلس (الدكتور)، الإسلام والتجديد في مصر، مطبعة الاعتماد، مصر، 1935، ص: 240.